واقع اللغة التواصلية في المجتمع الجزائري (اللغة العربية الفصحى والعامية والفرنسية)

– دراسة ميدانية–

The Reality of the Communicative Language in Algerian Society (between Classical Arabic, Colloquial Arabic and French)

د. ميس سعاد[1]

[1] جامعة ابن خلدون –تيارت– (الجزائر)، souad.mis@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/30 تاريخ القبول: 2021/05/10 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص:

تعتبر اللغة أهم وسائل التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، كما أنها ترتبط بالتفكير البشري، فتترجم أفكار الإنسان في قالب لغوي. ولغة التواصل في المجتمع الجزائري متنوعة نظرًا للتنوع الثقافي الذي تتميز به الجزائر، والجميل في ذلك قدرة أفراد المجتمع على التعامل والتواصل والتفاعل مع هذا التنوع.فنجد اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية للبلاد،مكانتها محفوظة بين أفراد المجتمع وتعتبر لغة العلم، ونجد اللهجة العامية التي تحتل المرتبة الأولى في التعامل والتفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع الجزائري، وتليها اللغة الفرنسية التي تفرض وجودها في الحياة اليومية لأسباب تاريخية. نحاول من خلال هذه الدراسة ترجمة واقع اللغة التي يتواصل بها المجتمع الجزائري، وكيفية التواصل مع هذا التنوع اللغوي والتبادل الثقافي بين الأفراد.

كلمات مفتاحية: اللغة، التواصل، المجتمع الجزائري، العربيةالفصحى، العامية، الفرنسية.

Abstract:

Language is the most important means of social communication among members of society, as it is related to human thinking, translating human ideas into a language form. The language of communication in the Algerian society is varied due to the cultural diversity that

* المؤلف المرسل: د. ميس سعاد

المنارة للاستشارات

ww

characterizes Algeria, and the beauty of that is the ability of the community members to deal, communicate and interact with this diversity. Classical Arabic is the official language of the country. Its position is preserved among the members of society and is considered the language of science, and we find the colloquial dialect that ranks first in dealing, understanding and communication between members of the Algerian society, followed by the French language, which imposes its presence in daily life for historical reasons. Through this study we try to translate the reality of the language with which the Algerian society communicates and how to deal with this linguistic diversity and cultural exchange between individuals.

Keywords: language; communication; Algerian society; classical Arabic; colloquial ; French.

1. مقدمة:

يعتبر التنوع الثقافي ميزة ضرورية في كل مجتمع، والقبول به والتعايش معه يساعد على الاستمرار وعلى العيش في وسط تتوفر فيه سبل الحياة الكريمة، وذلك من خلال قبول الآخر، والتعرف على ثقافته ومحاولة الاستفادة منها، والتعايش معها عبر مختلف وسائل التواصل والاتصال.

والتنوع الثقافي اليوم سبيل من سبل كشف هوية الغير وثقافته بل أصبح من المحاور المهمة التي تكشف لنا الطرف الآخر أو الشخص الذي نريد التواصل معه، حتى وإن اختلفت هذه السبل سواءً عن طريق استعمال وسائل التواصل البصري أو السمعي أو كلاهما أو اللغة الحوارية المتفق عليها، ونتيجة هذا التنوع الثقافي وقبوله واضحة المعالم وعلى كل الأصعدة من تعليم وثقافة وزراعة واقتصاد والتنمية بكل أشكالها؛ لأنها تعلمنا لغة التواصل مع الغير وإدراكنا ثقافته وطريقة تفكيره، وكيفية الاستفادة من هذه الثقافة، وكل هذا يؤثر على النمو والتطور والتعايش مع الثقافات داخل المجتمع الواحد، والمهم في هذا كله هو أن نتعلم كيف نتقبل ونستوعب ثقافة الآخر.

المنارة للاستشارات

وبما أنّ اللغة تقوم بوظيفة الاتصال، وتعبر عن الرغبات والأفكار والعواطف، فهي بذلك مشتركة بين المجموعة البشرية في وسط لغوي موحد المصطلحات والألفاظ، يتم من خلال هذه اللغة توثيق الروابط الاجتماعية، فاللغة جزء من الدين والتراث والعادات والتقاليد وماضي الإنسان – التاريخ– وتعتبر اللغة أهم عنصر من عناصر الحفاظ على الهوية والحياة الثقافية لأمة من الأمم.

ولغة التواصل الاجتماعي هي اللغة المتفق عليها أثناء التواصل والحوار وترجمة المشاعر والعواطف، بشرط أن تكون مفهومة وموحدة لدى المجموعة البشرية، وقد تختلف هذه اللغة من فئة إلى فئة داخل مجموعة واحدة، – بين لغة الأطفال ولغة الشباب ولغة الكهول– وذلك راجع إلى نسبة التفاهم والارتياح الملموس أثناء استخدامها، وكذا بمدى ارتباط هذه اللغة التواصلية بالتطور الحاصل في المجموعة البشرية ونتيجة الاختلاط والتمازج فيما بين الثقافات والتنوع الموجود فيها.

فلغة التواصل تتأثر وتؤثر في الإنسان، وكذا في ردود فعل بعض الأطراف في العملية التواصلية، لذا تعتبر عنصر مهم لابد من الاهتمام والعناية به من أجل فهم هذا التنوع الثقافي الحاصل في المجموعة البشرية، وفك أسرار هذا التمازج وهذا التفاعل فيما بين الناس.

2. لغة التواصل في المجتمع الجزائري:

يتميز المجتمع الجزائري بتنوع لغة التواصل اليومية فيما بين الناس، وبمختلف الفئات العمرية والمواقف الحياتية، فنجد اللغة العربية الفصحى، وهي اللغة الرسمية للدولة متداولة بين فئات مخصوصة نذكر من ذلك: طبقة المعلمين والأساتذة والمثقفين، وبمختلف الأطوار، وكذا عند علماء الدين وأئمة المساجد، وهي لغة الشخصيات السياسية وأصحاب المناصب العليا أثناء الخطب الرسمية والحوارات الصحفية، فتكون هذه اللغة مضبوطة حسب احتياجات وأهداف التواصل مع المجتمع، بمعنى تكون مختصرة وهادفة وبسيطة، مضبوطة لكي يفهمها السامع ولكي تنقل الأفكار المراد ايصالها بشكل ممتاز وللفئة المقصودة بشكل واضح، ونجد اللغة العامية التي (لعموري، 2007) تحتل مكانة واسعة عند المجتمع الجزائري؛ لأنّها اللغة الأكثر استعمالا والأكثر تداولا بين كلّ فئات المجتمع وتوظف هذه اللغة في كلّ المجالات تقريبا، والأماكن فنجدها عند التواصل اللغوي بين أفراد الأسرة الصغيرة والكبيرة،وهي لغة التواصل في الشارع، وفي المحلات

المنارة للاستشارات
ww

والأسواق وحتى الحوارات الصحفية أحيانًا، واللغة الثالثة الموجودة في الثقافة الجزائرية هي اللغة الفرنسية، وهي لغة فرضت وجودها من خلال عوامل تاريخية تعود إلى الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس الهوية الجزائرية وحارب اللغة العربية الفصحى بكل الوسائل والطرق؛ لأنّها هوية الجزائري وأصله وتاريخه ولغة دينه الذي يعرف بها، فبطمس اللغة لا يمكن لأي إنسان قراءة كتابه الديني وتاريخه العربي وتراثه الفكري.

لذا نجد اللغة الفرنسية اللغة الثانية تداولاً بعد العامية في المجتمع الجزائري، وأكثر من يتقنها هم الذين عاشوا الفترة الاستعمارية أو بعدها بقليل؛ لأنّ فرنسا فرضت عليهم هذه اللغة وأصبحت في حياتهم اليومية شيء ضروري من أجل التواصل وفهم ثقافة المجتمع الفرنسي وكيفية التعامل معه.

إذن تتنوع لغة التواصل في الجزائر وتختلف، وهذا يعكس تنوع ثقافي كبير بين أفرد هذا المجتمع وتؤثر هذه الثقافات بطريقة أو بأخرى على الأجيال التي تنشأ وسط هذاالمزيج وهذا التنوع فينتج عن هذا ثقافة تعكس واقع الحياة اليومية للجزائريين.

وواقع اللغة التواصلية عند الأطفال هو العامية، فهي لغة مشتركة ومفهومة بين معظم الأطفال في الجزائر وفي مختلف مناطق البلاد، فنجدهم يتعاملون بها في الأسرة والشارع وحتى المدرسة، فالأطفال يتحدثون بعفوية وطلاقة ويتبادلون الأفكار والمشاعر بالعامية، ثم تأتي بعد ذلك اللغة العربية الفصحى نتيجة تعلمها من الألعاب ومشاهدة الرسوم المتحركة وحفظ القرآن الكريم في المدارس القرآنية، ونجد ثالث لغة يتعامل ويتواصل بها الأطفال ونقصد البعض منهم هي اللغة الفرنسية،وهي موجودة في مناطق الشمال ويتعلمها الأطفال من خلال سماع الأهل ومحاورتهم ومشاهدة برامج الأطفال باللغة الفرنسية.

فواقع اللغة التواصلية لدى الأطفال في الجزائر تحكمه مجموعة من العوامل بداية من الأسرة التي تعلب دورًا كبيرًا في توجيه الطفل وتعليمه، فإذا كان توجيهه إلى المدارس القرآنية نجد لسانه فصيح وله طلاقة في التعبير، وذاكرة قوية، والطفل الذي وجه إلى تعلم اللغات نجد ثقته بالنفس قوية كونه يشعر بالتميز بإتقانه اللغة الأجنبية أو لغة المجتمع المتطور.

أما المدارس الحكومية، فإن حال لغة التواصل تحكمه فيها هو اللغة العربية الفصحى، فهي اللغة الرسمية بين الكتاب والتلميذ والمعلم، بمعنى هناك من المعلمين من يتقيد باستخدام العربية الفصحى أثناء

المنارة للاستشارات
ww

تعامله مع التلاميذ وفي كل مراحل الشرح والفهم والتعامل داخل القسم، بل يكتفي بقراءة الكتاب المدرسي أو ذكر بعض الكلمات داخل القسم مع تلاميذته، وهنا يحدث الخلل بالنسبة للتلميذ؛ لأنّه يعلم بأنّ اللغة العربية هي لغة العلم والقسم والكتاب المدرسي ويجب التحاور بها من خلال تعلمها والتعامل بها، فحين يتعامل المعلم مع التلاميذ بالعامية والسبب في ذلك يعود إلى عدة عوامل نذكر منها عدم تعود الطفل سماع هذه اللغة في البيت والمحيط الخارجي، وبالتالي نجد صعوبة في فهم هذه الكلمات الفصحى، وكذا محاولة المعلم إعطاء كم كبير من المعلومات في وقت قصير لذا يلجأ إلى اللغة المفهومة والواضحة والمتداولة لدى التلاميذ.

يستخدم المعلم اللغة العامية والفصحى وبعض الكلمات الفرنسية أثناء تعامله مع التلاميذ، وهذا لا ينطبق على كل المعلمين بل نجد بعض الأساتذة والمعلمين من يحرص على تعليم اللغة العربية الفصيحة والتعامل بها، والحفاظ على سلامة نطقها فلا يذكر كلمة أجنبية حتى لا يعتقد طالب العلم أو التلميذ أنها من العربية الفصحى.

فالطفل يتعلم العربية الفصحى قبل مرحلة التمدرس من خلال برامج الرسوم المتحركة الناطقة باللغة العربية الفصحى، ويتعامل بها أثناء لعبه مع أصدقائه أو حرص الوالدين على تعليم طفلهما العربية الفصحى من خلال التكلم معه والتحاور معه بلغة فصحى فيتعود الطفل هذه اللغة،ويتكون لديه قاموس من المفردات الفصيحة واضحة الدلالة، ويوظفها في حياته اليومية، ويتعلم الأطفال في الجزائر اللغة الأجنبية فكثير من الآباء يوجهون أبناءهم إلى تعلم اللغات اعتقادا منهم أنها من ركائز النجاح تعلم لغة مجتمع متطور، فتجد الطفل في سن صغير يعرف التكلم باللغة الانجليزية والفرنسية من خلال الحوارات اليومية بهذه اللغة داخل الأسرة، ومتابعة برامج تتحدث بهذه اللغات، وكذا متابعة دراسية من خلال حصص خاصة للطفل حتى يتمكن من فهم هذه اللغة وثقافة أهلها.

والملاحظ في السنوات الأخيرة هو توجيه الأسرة الجزائرية في تكوين ثقافة أطفالها إلى حب اللغة العربية وتعليم القرآن الكريم وتعاليم الدين من خلال إدخال الطفل في سن صغيرة المدرسة القرآنية من أجل تعلم القرآن والسنة النبوية، وذلك راجع لمجموعة من الاعتبارات ومنها: أنّ هذا التوجيه يساعد الطفل على

المنارة للاستشارات
ww

الدراسة من خلال تعوده على لغة الكتاب المدرسي، وكذا تقوية الذاكرة بالنسبة للطفل، كما أن هذه اللغة هي لغة البلاد ولغة المجتمع يستطيع الطفل التكلم بها وفهم الحوارات التي يسمعها.

فنجد الطفل يتعلم اللغة العربية ويتقنها أثناء النطق بها والتعامل معها ولكن في أماكن خاصة محصورة في المدرسة القرآنية أو البيت مع الأسرة؛ لأنّ المجتمع يتواصل بالعامية الممزوجة بكلمات متنوعة ومختلفة عن قاموسه اللغوي من لهجات مختلفة ولغات أجنبية عنه.

فاللغة العربية في المدارس هي لغة الكتاب المدرسي، وتبقى العامية لغة التواصل في المجتمع الجزائري إلى جانب اللغة الفرنسية، وهذا يترجم مدى التنوع الثقافي الموجود في المجتمع الجزائري.

والعامية في الجزائر غنية بالمصطلحات والألفاظ المترجمة لثقافات أخرى موجودة داخل الجزائر أو خارجها،فهي مزيج بين مجموعة كبيرة من اللهجات والثقافات سواءً داخل الجزائر مثل القبائلية والمزابية والشاوية والترقية وغيرها، وخارج الجزائر مثل اقتراض بعض الكلمات من الفرنسية والانجليزية أو اللهجة التونسية أو المغربية أو حتى الشرقية؛ لأن تقبل ثقافة الغير والتعامل معه يفتح المجال لتعلم طريقته في الحديث، والعيش، وبالتالي التأثر به،ويساهم التنوع الثقافي في خلق الكثير من العلاقات والارتباطات سواءً كان ذلك على الصعيد الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي أو غير ذلك.

وتتنوع العامية بتطور الحياة اليومية للمواطن، نقصد بذلك توفرها على كم هائل من المصطلحات المرتبطة بالأحداث التي يعيشها المجتمع الجزائري، فكل يوم نسمع كلمات جديدة، وفي كل فئة عمرية نجد بعض المصطلحات الغريبة والممزوجة في نطقها بلهجات مختلفة، وتكون من إبداع شخص واحد أو جماعة فيتم تداولها وتصبح مألوفة ومقبولة وتنتشر بسرعة، وتشتهر بين الناس، وهي بطبيعة الحال مرتبطة بالأحداث التي يعيشها المجتمع الجزائري.

تقوم الأسرة الجزائرية بدور كبير في تعليم الطفل اللغة التي تساعده على التواصل والتفاعل خاصة الأم والأب، فاللغة التواصلية تؤثر على شخصية الطفل وثقافته مثال ذلك: إذا كان الأب والأم يعملان في ميدان يتكلمان فيه اللغة الفرنسية بحكم أن دراستهما كانت بهذه اللغة، وكل الوقت يتكلمان اللغة الفرنسية بحكم أن دراستهما كانت بهذه اللغة،وإذا أرادا التحدث بها في البيت أيضًا وأمام أبنائهما، فإنّ لغة

المنارة للاستشارات
ww

التواصل تؤثر على الأبناء وعلى طريقة تفكيرهم وتواصلهم مع الغير، ويظهر ذلك من خلال رغبة وميل الأبناء إلى التحدث بالفرنسية ومحاولة اكتشاف أصل هذه اللغة وثقافة مجتمعها، ولكن إن أراد الأب والأم فصل لغة المهنة عن لغة التواصل بالبيت فيحدث العكس، فالتواصل بلغة عربية فصيحة داخل الأسرة مع متابعة برامج تتكلم باللغة العربية، يتعلم الطفل هذه اللغة ويفهم معانيها ويوظفها مع أشخاص يحبهم ويفهمونها ويتواصلون بها معه.

غير أن الواقع يفرض على هذا الطفل الذي تعلم اللغة العربية الفصحى في المجتمع الجزائري أن يتعلم التكلم والتواصل بالعامية أيضًا؛ لأنها لغة التواصل في المجتمع الجزائري وإن اختلفت من منطقة إلى أخرى.

وهناك أطفال لا يوجهون من طرف الأسرة فيتعلم بطريقة تلقائية لغة التواصل، أي مزيجبين العامية والعربية والفرنسية، فينفتح عقله على تنوع ثقافي واسع ومبهر،فهو لا يدرك الكم الهائل من المصطلحات التي يوظفها أثناء التعامل مع الأشخاص، فلغته فيها تنوع وحيوية أكثر، وفي نفس الوقت يجد نفسه بعيد عن مفردات اللغة العربية والفرنسية، وفي بداية دراسته يجد صعوبة في تعلم لغة الكتاب المدرسي؛ لأنه لم يتعود سماع هذه المفردات ولم يوظفها من قبل فالعامية ليست لغة علم ولا لغة تواصل داخل القسم بين المعلم والتلميذ.

لذا نلاحظ لجوء بعض المعلمين في المراحل الأولى من الدراسة خاصة الطور التحضيري والسنة الأولى، نجدهم يتكلمون بالعامية ويشرحون بها أفكارهم؛ لأنهم يدركون بأن أغلبية التلاميذ لا يعرفون العربية الفصحى ومعاني كلماتها.

إن ما يميز هذه المرحلة العمرية هو سرعة تعلم لغة التواصل وتوظيفها في عملية الحوار والنقاش وترجمة الأفكار والتفاعل مع الغير.

فالأطفال يمتلكون ذاكرة قوية لتخزين الكلمات بقدرة تفوق قدرة الكبار، بل هي الفترة التي يجب مراعاتها والحرص على استغلالها لكي يستفيد منها الطفل، فسرعة تعلم النطق والتحدث بلغة التواصل التي يعيش فيها وإدراك معانيها ميزة يجب الاستفادة منها، وهناك أطفال يعيشون في وسط يتميز بتنوع ثقافي

المنارة للاستشارات
ww

مثلاأن يكون الأب أمازيغي والأم عربية فإن الطفل يتعلم لغتين للتواصل وثقافتين مختلفتين والكثير من المصطلحات والكلمات، بالإضافة إلى العامية التي تفرض وجودهافي الشارع.

3. واقع اللغة التواصلية في الشارع الجزائري:

يعتبر الشارع الجزائري نموذجًا رائعًا للتنوع الثقافي والفكري والمعرفي؛ لأن المجتمع الجزائري متفتح على كل الثقافات، ومجتمع يقبل كل الأفكار ومتجاوب مع كل التوجهات التي لا تختلف مع معتقده ودينه وهويته وربما هذه ميزة يُحسد عليها أهل الجزائر، كيف لا ونحن نرى تعايش وتأقلم أفراد كل الشعوب مع هذا الشعب ومع عاداته وأفكاره وتقبله هو بدوره للآخر، وحب اكتشاف ثقافة الغير، فلا مشكلة لدى الفرد الجزائري إذا كان الشخص أجنبي ولغته مختلفة وأفكاره وثقافته مختلفة، المهم أن تكون هناك لغة للتوصل، وفي المقابل فإن الفرد الجزائري بدوره يستطيع العيش والتأقلم مع أي مجتمع مختلف العادات والثقافة عن المجتمع الجزائري، المهم في الأمر هو لغة التواصل تكون واضحة وبها يتم فهم وإدراك ثقافة الغير وطبيعته الفكرية.

أما عن موضوع لغة التواصل في الشارع الجزائري، فهي لغة متنوعة ممزوجة بثقافات مختلفة، بل هي رائعة تتيح المكان لكل فرد يريد العيش مع المجتمع الجزائري، فلغة الشارع الجزائري عربية فصيحة وعامية ولغة أجنبية فرنسية أوانجليزية، بل نجد بعض الكلمات من اللغة الاسبانية والألمانية، في العامية التي يتواصل بها أفراد هذا المجتمع، فهي الأكثر تداولا نجدها في مراكز التعليم والعلم، وأماكن الاجتماعات والمؤسسات، وكذا في المحلات والأسواق والبيوت ولغة التواصل في المناسبات وغير ذلك من أماكن التواصل الاجتماعي.

وعلى الرغم من المكانة المميزة التي تحظى بها اللغة العربية الفصيحة، كونها لغة مقدسة، لغة الدين والقرآن الكريم، اللغة التي حاربتها فرنسا بكل ما أتيح لها من قوة، رغم ذلك تمسك بها هذا الشعب، وحاول الحفاظ عليها، فجهود عبد الحميد ابن باديس في هذا المجال رائدة وأثاره في ذلك واضحة من خلال تحفيظ القرآن الكريم لطلبته في الجامع الكبير من أجل نشر هذه اللغة وتعميمها، وفي هذا الموضوع

المنارة للاستشارات
ww

يطول الحديث، لكن المهم هو حب الشعب الجزائري لهذه اللغة حب عظيم موسوم بالرهبة والاحترام، فمن يتقنها له احترام ومكانة مميزة، ومن يتعامل بها تعطيه سمة العلماء فهي لغة أهل العلم والفصاحة.

والشارع الجزائري عندما تتحدث معه باللغة العربية؛ فإنه يرد عليك بنفس اللغة احترامًا لها، رغم قلة التعامل والتواصل بها، وما يلاحظ في السنوات الأخيرة هو عودة الأسرة الجزائرية إلى تعليم اللغة العربية للطفل الصغير كونها لغة علم وأخلاق ولغة راقية تفرض وجودها، ولغة تتسع لكل المشاعر والأفكار، لغة تستطيع من خلالها التواصل مع أي شخص مهما كان عمره، وتترجم بها كل المشاعر مهما كانت درجتها، فهي لغة عظيمة عند هذا الشعب.

فاللغة العربية في هذا البلد تُعامل معاملة احترام، فمن يتقن اللغة العربية في الشارع الجزائري، هو إنسان محترم له مكانة مميزة، فإذا ما تكلم الشخص بالعربية الفصحى، فيرد عليه بنفس اللغة، وإذا كان مع شخص لا يتقن العربية الفصحى فيرد عليه بالعامية أو بالفرنسية، ولكن بحياء واحترام، فالمجتمع الجزائري يقدر مكانة هذه اللغة وهي بالنسبة له لغة المثقفين الأذكياء، ومثال ذلك في كلية الطب التي تُدرس جميع المواد باللغة الفرنسية، وبالتالي الطبيب يكتب على ورقة الفحص اسم الدواء باللغة الفرنسية، ولكن عندما يزوره المريض ويكون في حالة قلق من مرضه فإن أحسن لغة يحاور بها ويتواصل بها الطبيب مع هذا المريض هي العربية؛ لأنها لغة القرآن والسنة النبوية، ولغة تبعث على الاطمئنان والراحة فيقول له: «لا تقلق ولا تخف نستطيع السيطرة على المرض والتحكم فيه»، فيرتاح المريض بمجرد سماع هذه الكلمات، وفيما لو كان رده باللغة الفرنسية أو العامية لا نستشعر نفس الإحساس والثقة في الإجابة.

الشارع الجزائري يعتمد في تواصله على العامية، وربما هذه الملاحظة لا تنطبق فقط على الشعب الجزائري بل على كل البلدان العربية، فالعامية أكثر استعمالاً كونها تجمع الكثير من الثقافات واللهجات والأفكار المختلفة لهذا البلد، وتَعود أبناء هذا الشعب التحدث بها والتواصل من خلالها، ومهما كان الفرد متقنًا للغات الأجنبية إلا ويجد نفسه مضطرًا للتكلم بها – العامية–؛ لأنها اللغة التي يفهمها ويتكلم بها المثقف والإنسان العادي والطفل والأم والمعلم والحارس وكل من يمكننا أن نتواصل معهم، وهذا لا يعني قصور العربية الفصيحة عن ترجمة الأفكار عن سهولة التواصل بها بين الأفراد، ولكن السبب هو تأثير

المنارة للاستشارات
ww

الموروث الاستعماري الفرنسي على الثقافة الجزائرية بإدخاله اللغة الفرنسية في المدارس والإدارة والمعاملات التجارية وكذا الثقافة الفرنسية في العادات والتقاليد الدينية الجزائرية، وبالتالي حدث نوع من التفرقة والتفكك في المجتمع الجزائري، فحدث هذا التنوع الثقافي الموجود في الواقع، وعلى الرغم من ذلك تبقى العامية لغة التواصل الموحدة بين أفراد المجتمع الجزائري، ولغة الشارع الجزائري.

أمثلة ذلك عند السؤال عن ثمن شيء ما يقول السائل: «هَذِي شْحَالْ تْدِيرْ يَرْحَم وَالِدِيكَ»، بالعامية ولا يقولها بالعربية الفصحى: «كَمْ ثَمَنُ هَذَا الشَيءُ مِنْ فَضْلِكَ» أو يقول: «شْحَالْ البْرِي مِنْ فَضْلَكْ»، وهناك عبارات كثيرة فيها كلمات عامية، عربية،وفرنسية وأحيانا نجد لغات أخرى، والمهم في ذلك كله أن العملية التواصلية موجودة بين الأفراد، فالكل يفهم هذا التنوع الثقافي، فمثلا عن السؤال عن حال شخص ما يقول: «وَشْرَاكْ» ولا يقول: «كَيْفَ حَالُكَ أَوْ كَيْفَ هِيَ صِحَتُكَ» وما إلى ذلك...

والمميز في هذه العملية هو سرعة التواصل بين الأشخاص والإجابة تكون بنفس اللغة التي تم بها التواصل سواءً عربية أو عامية، أو فرنسية أو أي لهجة جزائرية أخرى.

فتكون الإجابة في أغلب الأحيان بالفرنسية «çava أو bien» بمعنى "بْخَيْر" بالعامية أو العربية الفصحى «بِخَيْر الحمد لله»، وكلمة "الحمد لله" تعكس جزء من ثقافة القائل على أنه متدين ويشكر الله على النعم الكثيرة.

فلغة التواصل مهمة جدًا، فهي تعكس ثقافة الأفراد وانتمائهم ودرجتهم المعرفية والعلمية ومدى تحضرهم، وتمسكهم بأصولهم الدينية والحضارية والثقافية.

لغة التواصل في الشارع الجزائري مفهومة يدركها كل الأشخاص، ويفهمون هذا التنوع الثقافي الذي تعكسه، لذا نجد الرد والاستجابة سريعة وواضحة.

بالنسبة للغة التواصل في الميدانالصحفي والإعلامي فإن اللغة العربية هي اللغة الرسمية لنقل الأخبار والأحداث، وهي لغة الحوار والتواصل بين الإعلام والشعب، فالصحفي يحاول التقيد بالعربية الفصحى ليتواصل مع متابعيه، ونجد كذلك العامية التي يفهمها كل الشعب فمعظم البرامج تقدم بهذه اللغة؛ لأن الهدف منها هو ترجمة الأفكار والتواصل مع أطراف مختلفة لها علاقة بموضوع الحوار.

المنارة للاستشارات
ww

بالنسبة للغة الفرنسية فلها قنوات خاصة تستعملها للتواصل مع الطبقة التي تفهم الفرنسية وتتجاوب معها، والصحافة المكتوبة تكون باللغة العربية والفرنسية.

4. واقع اللغة التواصلية في الوسط الجامعي:

الطبقة الجامعية في المجتمع الجزائري أو أي مجتمع آخر تعكس ثقافة هذا الشعب ومدى تحضره ورقيه، ويمثل الطلبة في الجامعة الجزائرية فئة النخبة والطبقة الأكثر تفاعلا واستثمارا بالنسبة للدولة، وذلك راجع إلى أن معظم الشباب الجزائري هم طلبة جامعيون وخرجي معاهد ومؤسسات تكوينية، وهذا ما تعكسه لغة التواصل فيما بينهم، إذ نجد تنوع ثقافي وتداخل بين عادات وأفكار وتقاليد هذه الفئة، فالطالب يتأثر ببقية الطلبة الذين يتحاور معهم وربما يعيش معهم في نفس الحرم الجامعي، وبالتالي يحمل أفكارهم وثقافتهم فيؤثر ويتأثر بهم، وتكون العامية هي الأكثر استعمالا في كل مجالات الحياة بالنسبة للطالب على الرغم من كونه يدرس لساعات بلغات أخرى مثل: العربية والفرنسية والانجليزية، إلا أن لغة التواصل فيما بين الطلبة تكون بالعامية، والغريب أن هذه اللغة تفرض وجودها حتى عند أصحاب التخصص مثلا: تخصص لغة عربية في الجامعات، فنجد العربية الفصحى تدرس في المدرجات والقاعات، ولكن بمجرد أنك تسأل الأستاذ خارج القاعة فيجيب بالعامية أو يكون التواصل بين الأستاذ والطلبة يكون بالعامية عند تكليفهم بعمل ما فيقول مثلا: «جِبْلِي الأَوْرَاق البَحْثِيَة الحِصَّة القَادِمَة» فيمزج بين العربية الفصيحة والعامية، أو يقول: «نْأَفِيشِي النِقَاطَ غَدًا» نلاحظ تأثير العامية في لغة التواصل بين أفراد الأسرة الجامعية واضح، وهذه الظاهرة قليلة بالنسبة للغات الأجنبية مثلا: الانجليزية أوالفرنسية، فالأستاذ لا يستعمل العامية داخل القاعة، وربما حتى خارج القاعة مدام وجوده في الجامعة، وهذا ما يعزز تمكن الطلبة من اللغات الأخرى وضعفهم في اللغة العربية؛ لأن التواصل بها قليل، فنظرة الخوف من صعوبة التواصل باللغة العربية الفصحى، وعدم تمكن الطالب من توظيف هذه اللغة في التواصل اللغوي على الأقل في الجامعة، هي التي جعلت التواصل بها قليل، فالرصيد اللغوي قليل وعدم الممارسة يعتبر عائقا آخر في منع التواصل بها، وهذه الظاهرة موجودة في كل الجامعات العربية، وهذا لا يعني عجز هذه اللغة عن التواصل

المنارة للاستشارات
ww

والحوار بها، بالعكس هي لغة حضارة وهي لغة رقي ولكن العجز يكون في متكلم هذه اللغة والتمكن منها.

أما بالنسبة للإدارة والعمال في مختلف التخصصات، فإنّ العامية واللغة الفرنسية هي لغة التواصل والتخاطب، بحكم أن معظم الإجراءات الإدارية والوثائق التي يستخدمها ويحتاجها الطالب مازالت باللغة الفرنسية، أما بالنسبة للعامية فهي لغة الحوار التي يتداولها الجميع بكثرة، بينما تعود قلة التواصل باللغة العربية الفصحى إلى عدم توظيفها والتعامل بها، فهي مقيدة بتقديم المحاضرات أو قراءة الكتب وهي لغة الإجابة في الأوراق، ولغة الملتقيات والندوات والأيام الدراسية وهنا أتحدث عن أهل التخصص.

تعتبر الجامعة الجزائرية نموذج رائع لكشف مدى تأثر الثقافات ببعضها البعض، ومدى أهمية معرفة لغة التواصل فيما بين الأشخاص.

5. لغة التواصل في الإدارة الجزائرية:

لعل العامل التاريخي، ونقصد بذلك الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وما خلفه من آثار مازالت ليومنا هذا بفرض اللغة الفرنسية على الشعب الجزائري، ومحاولة طمس الهوية العربية الجزائرية، له تأثيره على واقع اللغة التواصلية في الإدارة الجزائرية؛ لأنّ معظم الوثائق مازالت باللغة الفرنسية، وحتى لغة التخاطب داخل المكاتب الإدارية، ولغة التواصل مع المواطن، وتسمية الأشياء بالفرنسية، فنجدها اللغة الأكثر استعمالاً مع العامية في الجانب الإداري.

وتحاول الدولة الجزائرية خاصة في السنوات الأخيرة تغيير لغة الوثائق الإدارية إلى اللغة العربية الفصحى، وهذا يعني النطق بالعربيةداخل الإدارة والتواصل بها، وهذا يترجم ويعكس مدى أهمية هذه اللغة في الحياة اليومية للجزائريين، ومدى حرصهم على استرجاع مكانتها وجعلها لغة التواصل.

6. اللغة التواصلية عند الأسرة الجزائرية:

تتميز الأسرة الجزائرية بالمحافظة على العادات والتقاليد، وكل ما له علاقة بالتراث الديني والوطني الجزائري، ويظهر هذا الاهتمام في اللباس والطعام، وفي الاحتفالات والمناسبات وحتى في المعاملات اليومية، فالجميع يحرص على المحافظة على معالم هذا البلد وتعليمها للأجيال، وتعتبر لغة التواصل في الأسرة

المنارة للاستشارات
ww

الجزائرية لغة غنية ومتنوعة ومتفتحة على الغير، ولغة يسهل تعلمها والتعامل بها، فهي متنوعة الثقافات متأثرة بعوامل تاريخية وثقافية مرت بها البلاد، فنجد مصطلحات وكلمات تدل على أحداث لأيام مضت على هذا الشعب أو كلمات لها علاقة بالتطور والتكنولوجيا، ونجد كلمات دخيلة، وكلمات غريبة متداولة في لغة التواصل في المجتمع الجزائري، أما الأسرة الجزائرية، وكما أشرنا من قبل فهي محافظة وتحاول الإبقاء على كل ما له علاقة بثقافة الجزائري، مهما كان انتماؤه.

وينعكس ذلك على لغة التواصل التي مازالت تحافظ على كلمات ومصطلحات كانت تستعمل منذ زمن، كما نجد كلمات دخيلة أو كلمات حرفت وتغير نطقها أو تركيبها وقد تُنسى بعض الكلمات أو تتغير دلالتها بفعل الظروف والحياة اليومية للشخص، وبالتالي فاللغة التواصلية في الأسرة الجزائرية غنية، ومعظم الأسر الجزائرية تستخدم العامية كلغة التواصل فيما بينهم، غير أن هذه اللغة تحمل مجموعة ثقافات وعادات مختلفة، وذلك حسب مناطق البلاد، فنجد لغة التواصل العامية العاصمية التي تتميز بنبرات صوت حادة والقبائلية، والوهرانية، والشرقية والشاوية والمزابية وغيرها من اللهجات التي يتواصل بها الشعب الجزائري.

وكل أسرة تحافظ على موروثها اللغوي قدر المستطاع، وتحاول زرع هذه الثقافة وتعليمها للأولاد منذ الصغر من خلال التعامل والتكلم بها من أجل استمرارها، علما أن كل منطقة تختلف في عاداتها وتقاليدها وحتى في لهجتها عن الأخرى، مع وجود بعض العناصر المشتركة بين هذه المناطق بفعل الالتقاء والتعامل والتواصل فينتج تنوع ثقافي.

وتعتبر اللغة العربية الفصحى اللغة الوحيدة المستعملة عند كل الأسر الجزائرية، واللغة المفهومة لدى الجميع، وكل العائلات تحترم هذه اللغة، وتحاول أن تكون لغتها في التواصل والحوار والتخاطب في حياتها اليومية، كونها لغة الدين ولغة القرآن الكريم، فمن الضروري التواصل بها وتعليمها للأطفال.

تعتبر هذه الدراسة الميدانية ترجمة لواقع اللغة التواصلية في المجتمع الجزائري، والأكيد أن هناك أمور كثيرة لم نتحدث عنها مرتبطة بهذه اللغة، وهذا المجتمع، غير أننا حاولنا وبعين الواقع إعطاء فكرة عن مدى دور لغة التواصل في المجتمع الجزائري وفي التنوع الثقافي الموجود في هذا البلد، وفي هذا التلاحم

المنارة للاستشارات
ww

والترابط الموجود بين أفراد هذه الأمة التي تختلف ثقافتها من منطقة إلى أخرى ولغة تواصلها موحدة، وكيف لنا أن نجعل هذا التنوع الثقافي مصدر قوة ونجاح وتطور.

وتحاول الدولة الجزائرية أن تجعل اللغة العربية الفصحى، لغة التواصل، ولغة الحوار في المحافل الدولية والوطنية، وتكون هذه اللغة جزء من حياة المواطن اليومية، وتعيد مكانة هذه اللغة والتعامل بها، وهذا الاهتمام واضح في الجهود التي تبذلها الدولة من خلال الملتقيات والمؤتمرات والندوات والأيام الدراسية، وفي المقررات والبحوث، والمجامع، والمعاجم التي يحاول المجلس الأعلى للغة العربية توفيرها من أجل الحفاظ على هذا التنوع الثقافي الموجود في هذا البلد.

فالاهتمام بهذا التنوع الثقافي، وبلغة التواصل فيه ركيزة هامة من ركائز التقدم والتطور؛ لأنها اللغة التي تترجم مدى التعايش الحاصل بين الثقافات،وكيف يمكننا استغلال هذا التنوع الثقافي بطريقة إيجابية ومفيدة تخدم المجتمع الجزائري.

4. خاتمة:

هذه دراسة ميدانية قمت بها في ولاية تيارت، محاولة تسليط الضوء على لغة التواصل الموجودة كواقع لامفر منه، وخلصت النتائج إلى أن :

1-إنّ ما عاشته الجزائر من حركة استعمارية، أفسد اللغة العربية، التّي أضحت غريبة في عقر دارها وبين أبنائها، تزاحمها لغة المستعمر تارة وابنتها المتمردة التي بدت هجينة تحوي العديد من مستقبح الألفاظ ‘‘العامية’’ تارة أخرى.

2-إنّ ما يعرف بالتعليم مزدوج اللغة أضحى هاجس كل الجزائريين، فأثاره جلية واضحة، خصوصا على تلاميذ الابتدائي، فعدم قدرتهم على التحكم بلغتين في آن واحد يدفع بهم إلى خلطهما أثناء الحديث فيستعملوا الفرنسية لدقيقة ثم العربية لدقيقتين أو ثلاث وهكذا، فينتجوا جملا هجينة مستقبحة، لا تنتمي لأية لغة وهذا ما يعني فساد لغة الطفل الجزائري الذي لم يعد يملك فعلا ناصية لغة معينة، حتى لغته الأم لم تعد تعني له شيء.

المنارة للاستشارات
ww

3-لا يعني فساد لغة الطفل المتمدرس في الجزائر، أنّه مترتب عمّا يعرف بالتعليم ثنائي اللّغة وفقط، فقد تظافرت عدة أمور واتّفقت على هلاك اللّغة العربية في بلدنا منها: المنهاج الدراسي، طرق التعليم المستوردة، ضعف تأهيل معلم هاته اللّغة، إهمال الأسرة الجزائرية للغة أبنائها،.....

-4أمّا عن سبل تمكين اللّغة العربية في المجتمع الجزائري، فهو يتطلب أوّلا التخلي عن التعليم مزدوج اللّغة، وكذا إرجاء تعليم اللّغة الفرنسية إلى ما بعد المرحلة الابتدائية، وتوعية الأسرة الجزائرية بضرورة الاعتناء بلغة أبنائها وتحبيب العربية إلى قلوبهم، وذلك بتحفيظهم القرآن الكريم، واختيار القنوات الإعلامية المناسبة لهم والداعمة لنمّو لغتهم، أي قنوات ناطقة بالعربية الفصيحة، كما يجب مراجعة المناهج الدراسية وكذا طرق التعليم المعتمدة، حيث أن اختلاف اللغة العربية عن باقي اللغات الأجنبية، يوحي باختلاف طريقة تعليمها.

5. قائمة المراجع:

- العياشي العربي، 2012م ، الطفل العربي والمنظومة اللغوية في مجتمع المعرفة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو،.
- المعتوق أحمد محمد، 1996.الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، العدد212، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت،
- بوزيد ساسي هادف، الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة، دراسة سوسيو-لسانية، جمعية اللسان العربي الدولية،
- بوفلجة غياث، ، 1993، التربية ومتطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،.
- تركي رابح، م1990.أصول التربية والتعلم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2،
- حسين قادري، مكانة اللغات في الواقع السوسيو لغوي الجزائري، مجلة الصوتيات، العدد 6.
- رمضان عبد التواب1988م ، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2،.
- صالح بلعيد، الأمازيغية والعربية تكامل لا تصادم، مجلة اللغة العربية، العدد19،المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر

المنارة للاستشارات
ww

- صالح بلعيد، 2008.في النهوض باللغة العربية،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط،
- عبد الله شريط، 1984م.نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،
- محمد العربي الزبيري، 1983م.الغزو الثقافي في الجزائر (62 . 82)، مجلة الرؤيا، اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد 3،
- محمد عزيز الحباني، 1980.تأملات في اللغو واللغة، دار الكتاب العربي، ليبيا، تونس،
- محمد الهاشمي، 2005–2006المحيط اللغوي وأثره في اكتساب الطفل اللغة العربية الفصحى، دراسة وصفية تحليلية للواقع اللّغوي بمنطقة البويرة، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،.
- نصيرة لعموري، 2007.العوامل المؤثرة في تحكم الطالب الجامعي في اللّغة الفرنسية،دراسة ميدانية بجامعة سعد دحلب، البليدة، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة البليدة،
- هادي نهر، 2013.الأساس في فقه اللغة العربية و أرومتها، دار الفكر ناشرون ومفكرون، مكتبة المدينة، الأردن، ط1،
- وليد كاصد الزيدي، 2006.الفرانكوفونية في المنطقة العربية، الواقع والآفاق المستقبلية، دراسات استراتجية، العدد 113، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتجية،ط1،
- يوهان فك، 2006.العربية، دراسات في اللغة واللهجات، تر: عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،

المنارة للاستشارات
ww